سجنيّات المعتمد بن عباد (دراسة تحليلية)

Prison poetry according to Al-Mu'tamid Ibn Abbad (Analytical Study)

Muhammad Ashraf
Ph.D. Scholar, Arabic Teacher Govt. high school Maanwala Kabirwala
Islamic Republic of Pakistan
Email: ashrafkamboh74@gmail.com
Pro. Dr. Rohma Imran (Corresponding Author)
Department of Arabic language & literature BZU Multan
Islamic Republic of Pakistan
Email: rohmahafeez@bzu.edu.pk

Abstract
In the case of Andalusian prison literature, the potential for this literature to become a source of quasi-historical textual knowledge was not without benefits for students reading the texts. His oral and written works caused the author to be sent to prison on each occasion. Most of these incidents are related to political events. Politics played a major role in the imprisonment of many poets. This includes poets who were imprisoned for no apparent reason. As for prison poetry in the Andalusian era, we find that his speech oscillates, sometimes between difficulty and comfort, and sometimes between clarity and ambiguity. But on the whole, it is lighter and clearer, and if that means anything, it shows a thinking poet discovering the depth of experience.
Common meanings when referring to the poem include a description of a prison, a description of the conditions inside the prison, a description of restrictions and slavery, the desire for freedom, the desire for integrity and freedom in the face of restrictions and imprisonment, and his poems. The desire to reunite him with his family. Some of them expressed in their poetry the meaning of request and request for humility, obedience, kindness, mercy, and forgiveness. Some have asked for forgiveness on their own terms, without humiliation or submission. They defended themselves with courage, self-respect and pride.
The poet Al-Mutamid bin Abbad, who changed his life of glory and palace to humiliation and humiliation. He wrote his most beautiful poems in prison, and these poems were called "Asriyat." In addition to the artistic exploration of prison poetry, emphasis will also be placed on the themes of his prison

poetry. The latter has received the attention of researchers and scholars, so I wanted to study this topic and help form a clear picture of the poets and poems of these families. Therefore, I decided to conduct a study on this topic entitled “The Prisons of Al-Mu’tamid Ibn Abbad (An Analytical Study).”

ملخص :

في حالة أدب السجون الأندلسي، فإن إمكانية أن يصبح هذا الأدب مصدرًا للمعرفة النصية شبه التاريخية لم تكن خالية من الفوائد للطلاب الذين يقرأون النصوص. تسببت أعماله الشفوية والمكتوبة في إرسال المؤلف إلى السجن في كل مناسبة. وترتبط معظم هذه الحوادث بالأحداث السياسية. لعبت السياسة دورا كبيرا في سجن العديد من الشعراء. ويشمل ذلك الشعراء الذين سُجنوا دون سبب واضح. أما في شعر السجن في العصر الأندلسي فنجد أن خطابه يتأرجح، تارة بين الصعوبة والراحة، وتارة بين الوضوح والغموض. لكن بشكل عام، فهو أخف وأوضح، وإذا كان هذا يعني أي شيء، فهو يظهر شاعرًا مفكرًا يكتشف عمق التجربة.

ومن المعاني المشتركة عند الإشارة إلى القصيدة وصف سجن، ووصف الأوضاع داخل السجن، ووصف القيود والعبودية، والرغبة في الحرية، والرغبة في النزاهة والحرية في مواجهة القيود والسجن، وقصائده. الرغبة في لم شمله مع عائلته . وقد عبر بعضهم في شعره عن معنى الطلب وطلب التواضع والطاعة واللطف والرحمة والمغفرة. وقد طلب البعض المغفرة بشروطهم الخاصة، دون إذلال أو خضوع. لقد دافعوا عن أنفسهم بشجاعة واحترام الذات والفخر.

الشاعر المعتمد بن عباد ، الذي غيّر حياته المجد والقصر إلى الذل والإهانة . لقد كتب أجمل قصائده في السجن ، وكانت هذه القصائد تسمى " أسريات". بالإضافة إلى الاستكشاف الفني لشعر السجن، سيتم التركيز أيضًا على موضوعات شعره في السجن. وقد حظي هذا الأخير باهتمام الباحثين والدارسين، لذا أردت دراسة هذا الموضوع والمساعدة في تكوين صورة واضحة عن شعراء وقصائد هذه العائلات. ولذلك قررت إجراء دراسة حول هذا الموضوع بعنوان "سجنيّات المعتمد بن عباد (دراسة تحليلية)".

الكلمات المفتاحية:

السجنيّات ، دراسة ، معتمد بن عباد ، التحليل .

حياته وسيرته :

المعتمد على الله ، أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله أبي عمرو، عبَّاد بن المظافر المؤيد بالله ، ولد في "باجة"[1]من أعمال أندلس سنة 431ه[2].

معتمد و اعتماد الرُّميكيّة

إحدى النساء التي رفعها أدبها ووضعها بين سيدات الملوك ونساء الأندلس المشهورات هي اعتماد الروميكيّة، التي شاركت الأوقات الجيّدة والسيئة في حياتها مع المعتمد. في إنهاء حياتها، الذي قدم لها مجموعة كاملة من الأفراح والمعاناة، جعلها الأولى بين نساء عصرها وبين النساء الأندلسيات الشهيرات في القرن الخامس. وهي معروفة بالسّيدة الكبرى، ولُقبت بالرُّميكيّة ،نسبة ولادتها الرميك، التي اشتراها المعتمد من أبيه المعتضد في عهده [3].

قال المقري : "ذهب المعتمد إلى شاطئ النهر الكبير مع وزيره ابن عمار، فهدأت الريح وهبت على سطح النهر، فجعل المعتمد يغني "صنع الرّيح من الماءِ زَرد"، و قال لوزيره ضمنا وطلب منه شطر الثاني، فسعى وزيره ابن عمار لكنّ فكره طال عليه وما أنشد، فقرضت الفتاة الحسناء من الغاسلات على شاطئ النهر، ذات الحسن و الجمال، حلاوة اللسان و سريعة اللبيان " أيُّ دِرعٍ لِقتال لو جمد".واستغرب المعتمد عندما رآها وسمع الجزء الثاني منها في البديه ، فانطبع صورتها في ذهن المعتمد وسأل: "هل لديها زوج؟" فأجابت في النهي ، فتزوجها المعتمد وأحبها من كل قلبه، وأنجبت له أربعة أبناء الذكور[4]، منهم : الراضي، الرشيد، المؤتمن، المأمون[5].

حياته السياسية:

وكان المعتمد شجاعاً حازماً، خبيراً في الشأن بأمور الإداري ، ومديراً للأعمال. وبعد رحيل والده استولى على إشبيلية، واستولى على قرطبة، ووسع البلاد حتى أصبحت مدينة. يمشي. كان معتمد بن عباد أحد ملوك طائفة الأندلس، بل أعظمهم. وقد أصيب بجروح متعددة في وجهه وجسده في حادث "زلاّقة"، لكنه أظهر شجاعة، لم يهرب. انسحب ابن تاشفين من ساحة المعركة ولم يبقى عاجزًا في الحرب ضد المسيحيين، بل قاد جيشًا مُجهزًا جيدًا لمساعدته حتّى انهزم ألفانسو[6].

وكان ألفانسو مسيحيا يقاتل ليلا ونهارا ضد ولايات الأندلس، وخاصة دولة معتمد بن عباد. ولذلك أرسل المعتمد كتاباً إلى والي بطليوس المتوكل و والي غرناطة عبد الله بن حبس ، يطلب منهما إرسال القضاة إلى إشبيلية، فوصل قاضى بطليوس أبو اسحاق بن مقـــانا،و قاضى غرناطة القليعى. تم إرسال غرناطة إلى إشبيلية، ووصل المسؤولون واجتمعوا بالقاضي،كما شارك معهم قاضي إشبيلية أبو بكر بن أدهم والوزير أبوبكر بن زيدون. قرّروا إرسال وفد إلى ابن تاشفين لنصرة أهل الأندلس،لكن لما علم المعتمد بهذا القرار فقال "رعي الإبل خير لى من رعي الخنازير"[7].

حياته الأدبية :

وكان المعتمد بن عباد شاعراً، كاتباً فصيحاً، جميل الخط. المعتمد شاعر ولد في عائلة من الشعراء، بل شاعر من ملوك الأندلس. وكانت قصائده تصور حياته. وبينما كانت أقواله قبل حبسه مسرفة وأنيقة، فيه غزل و مدح و حماسة وصف و عتاب ، كانت أقواله أثناء حبسه مليئة بالعاطفة القوية ويأتي مع مشقة السجن وألام المنفى[8]. يقول :

سايرتهم و الليل غُفل ثوبه حتّى ترائ للنواظر مُعلّما

فوقفت ثم محيرا و تسلّبت مني يد الإصلاح تلك الأنجما[9]

سبب دخوله فى السجن :

استولى يوسف بن تاشفين على الدولة من معتمد بن عباد حاكم إشبيلية. وهناك حاصروه وأجبروه على قتال رفاقه في معارك ضارية، لكن المعتمد أظهر شجاعة شديدة. وبفضل تخطيطه الجيد طرد العدو من بلاده. لكن كل شيء كان له موعد نهائي. وفي عام 484 قبل الميلاد، غزا المرابطون البلاد وأسروا السكان، صغارًا وكبارًا. لأنهم حرموا من لباسهم الوطني وتركوا بيوتهم في حياتهم لا يرتدون سوى الملابس، وغطوا أعضائهم التناسلية بأيديهم، وتم الاستيلاء على المخدرات، وانتهكت المقدسات، فأسر المعتمد وأولاده من الرجال و الإناث[10].

ويقال إنّ المعتمد حرر البلاد بأمان، و كتب نسخة الأيمان و العهد ، وجعلهم يحلفون على أنفسهم وعائلاتهم وأموالهم وعبيدهم وكل ما يحتاجون إليه و لكن خانه ابن تاشفين. وبما أنهم لم يفوا بوعدهم، فقد تم نقلهم ليلاً، وذهب ابن عباد وعائلته إلى سجن أغمات حيث تم القبض عليهم. وفعل معهم يوسف بن تاشفين ما لم يفعله أحد من قبله. و لم يكن يأتي أحد ليستقبله إلا الذين اشتهوا وأحبوا عمله وعمل الإثم. نات المعتمد كن يغزلن للنّاس أجوراً، لتنفقوا على أنفسهم. وظلت تذكره في قصائدها حتى وفاتها في سجن أغمات[11].

شعره في السجن:

تشتمل هذه الدراسة على عدد من القصائد و مقطوعات شعرية التي كتبها معتمد بن عباد ، سواء في السجن أو خلف القضبان المعروفة "بالأسريات" ، والتي تعبّر عن كيف قضى معتمد بن عباد أيامه بكل فخر وشرف والنعم والثروة . وكثير من لحظاته الشعرية مع عائلته تشير إلى وضعهم قبل السجن، حيث سافر بعيداً وحكمه ملك. و يحقق الإنتصارات العظيمة و لم يمنعه هذا الحال من التعبير و يقارنها بما آل إليه أمره الآن عن آلامه و أحزانه و تجربته بهذه القصائد.

موضوعات قصائده خلف الجدار هي الشكوى والفخر والرثاء والمناظرات مع الشعراء بشكل عام وأكثر شيوعًا.

الشكوى :

وهذا موضوع رئيسي في قصائده العزلة والسجن، وقد طغى الرثاء على سائر المواضيع حتى أصبح سمة بارزة ميّزت شعر المعتمد في أسره. ويبدو أن نداء شكوى المعتمد متعدد الأوجه و النواحي، نظراً لتعدد آلامه وتنوعها، بكى الشاعر على نفسه وعلى أحبائه وعلى الجميع، وبكى في شعره. كما يقول:

خرجوا ليستسقوا فقلت لهم دمعي ينوب لكم عن الأنواء
قالوا: حقيق في دموعك مقنع لكنّها ممزوجة بدماء **12**

نكتشف أن الشاعر كان يحمل في داخله انقسامات عميقة. فإذا اشتد ألم الفراق من جهة، وكثرت تكاليف الاعتقال من جهة أخرى، فقد وجد بالموت راحة من هذه الآلام والكوارث. كما نرى عند ما دعا للشاعر أبو العلاء**13**بطول البقاء. يشار إلى أن الموت الذي يكرهه الناس أصبح رغبة الشاعر المسجون. وعندما بدأت تراوده أفكار سيئة عن الحياة وسوء الأحوال التي يعيشها شعبه، وخاصة أبنائه وبناته، تمنى أن يكون الموت أفضل من هذه الحياة المتواضعة البائسة.

الشكوى من الدهر:

إن مرور الزمن أجبر الشعراء على التفكير وتفسير مصائبهم، ونتيجة لذلك اتجهت أفكارهم نحو الحياة ومصير الناس وحدوث الكوارث ونقاط الضعف البشرية. ولذلك كان الزمن يشكل أحد أهم ركائز التأمل في الشعر. وشكا الشاعر في القصيدة من الطقس ووصفه بأنه خبيث ومخادع. يقول**14**:

أبى الدهر أن يقنى الحياء و يندما وأن يمحو الذنب الذى كان قدّما
و ان يتلقّى وجه عتبي وجهه بعذر يُغشّى صفحتيه التّذمُّما

كما اشتكى المعتمد من هذا الحبس . كان آسره صديقًا سيئًا طارده معظم أيام سجنه. ولهذا السبب، كانت القيود جزءًا مهمًا من شعره ، كتب قصيدة حزينة عن نفسه. من ناحية السجناء وصعوباتهم، ومن ناحية أخرى حقيقة معاناة الشاعر من القيود. تتضمن القصيدة أسلوبًا تصويريًا وجناسًا اشتقاقيًا. قال الشاعر:

تبدّلتُ من غزّ ظلّ البنود بذلّ الحديد و ثقل القيود
فقد صار ذاك و ذا أدهما يعضّ بساقي عضّ الأسود **15**

الرثاء:

وخسر المعتمد بن عباد ملكه وأبنائه وحريته وعزته وجلاله. ونجد قصائده الرثائية في ثلاث ومن الأشكال: رثاء الأطفال، ورثاء المدن والقصور والمماليك، ورثاء الروح. المعتمد له قصيدة دامعة التي نظم أبدع و أبشع شعر الألم في السجن. وألقى قصيدة دامعة في رثاء الراضي والمأمون اللذين قتلهما على يد المرابطين. علماً بأن الشاعر يرسم صورة إنسان وطائر، وكلاهما يشعر بالحزن والألم ، و قال أيضا:

يقولون صبرا لا سبيل إلى الصبر سأبكي و أبكي ما تطاول من عمري
هوى الكوكبان: الفتح ثم شقي يزيد، فهل عند الكواكب من خبر[16]

رثاء المدن و القصور و المماليك :

قد رثى المعتمد مملكته و قصوره في شعره عندما اشتد عليه البلاء و طال عليه الأسر و السجن ، فقال:

بكى المبارك في إثر ابن عباد بكى على أثر غزلان و آساد
بكت ثرياه لا غمّت كواكبها بمثل نوء الثريا الرائح الغادي
ماء السماء على أبنائه درر يا لجّة البحر دومي ذات أزبادِ[17]

أنّ المبارك، والزاهي و الوحيد وثريّا كلّها أسماء القصور قد رثى بها المعتمد وفي أشعاره أسلوب الإطناب و المجاز.

العتاب :

و لم يخضع المعتمد لأحد أيام أسره و لم يرجو الفرج إلا من الله، ولهذا عاتب يوسف بن تاشفين في قصيدة عندما طلب خيمة من فتاته. فاعتذرت منه وألقى اللوم على والده وأشار إلى إنكاره. لكن بعد بضعة أبيات شعر الشاعر بلوم يوسف وأثنى عليه مرة أخرى على حادثة الزلّاقة، قال:

هم أوقدوا بين جنبيك نارا أطالوا بها في حشاك استعارا
أما يُخجل المجد أن يُرحلوك ولم يُصحبوك خباء معارا [18]

الزهد :

قال الشاعر المسجون الملك المعتمد في الزهد:

أرى الدنيا الدنية لا تُواتي فأجمل في التصرف و الطلاب
و لا يغررك منها حسن بُرد له علمان من ذهب الذهاب
فأولها رجاءٌ من سراب و آخرها رداء من تراب[19]

لقد وصف الشاعر الدنيا بعد أن عرف أحوالها وطرقها أمام عينيه، وهذه النظرة الزاهدة للعالم لم تكن معروفة عند المعتمد بن عباد في أيام سلطانه، وأصبح المعتمد كاملاً في عهدها المعاناة كانت مقتنعة بأن النعيم والبؤس يجتمعان مثل الورد والأشواك.

حبّ الأهل و الأولاد :

تغنى المعتمد بن عباد بحب الأهل والأبناء عندما رأى بناته تحت قطرات المطر يذلن من كبريائهن، هنّ يغزلن و يدورن للناس مع تعويضات ينفقونها على أنفسهم، وفي هذه المشاهد المؤلمة والظروف الحزينة هناك قصائد التي تلين القلوب القاسية وتجعل الدموع تسيل. فقال المعتمد:

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا فساءك العيد في أغمات مأسورا
ترى بناتك في الأطمار جائعة يغزلن للنّاس ما يملكن قطميرا
من بات بعدك في ملك يسرّ به فإنّما بات بالأحلامِ مغرورا [20]

وفي هذا النموذج يستخرج المعتمد بن عباد طاقة الإنسان بالنعت المبني للمجهول "جائع، متواضع، مستتر". لكن أصلها يوحي بشيء آخر غير المعنى ، اسم مشتق من فعل يدل على من قال بالفعل"[21].

الصور البيانية في شعره :

الشاعر الملك المعتمد بن عباد قد صوّر في شعره صور البيانية و المحسنات البديعية في متنوعة الأشكال منها:

الاستعارة المكنيّة:

أنّ الاستعارة المكنيّة هو أن لا يذكر في الكلام إلا كلمة المشبه به، ويحذف منها المشبه، ويقال متعديا، أي أن المشبهة مبالغة، فينبغي ذكر ذلك القول باعتباره "المشبه به[22].

قال الشاعر:

لما تماسكت الدموع و تنبه القلب الصديع [23]

كما شبّه القلب بالإنسان الذي يتنبّه هكذا شبّه الشاعر الدموع بالإنسان الّذي يتماسك، فحذف المشبه به و أبقى"التماسك و التنبّه" بعض لوازمه .

الاستعارة التصريحية:

هي إذا أريد منه معنى المشبه ولكن ذكر في الكلام لفظ المشبه به فقط فهي استعارة تصريحية، لأنّ المتكلم قد صرح في كلامه بلفظ المشبه به[24].

قال الشاعر:

شهدنا فكبّرنا، فظلّت سيُوفنا تصلي بها مات العدا فتطيلُ [25]

الشاعر يشبّه عمل السيوف في ضرب الأعداء بالصّلوة، هنا استعارة تصريحية.

التشبيه:

قال المعتمد بن عباد:

قد كان كالثعبان رمحُكَ في الوغي فغدا عليك القيدُ كالثعبانِ [26]

الشاعر يشبّه الرمح بالثّعبان ويشبّه القيد بالثّعبان و ذكر أداة الشبه و حذف وجه الشبه .

الجناس:

الجناس عبارة عن تشابه اللفظين نطقا و اختلافهما معنى و مفهوما.

قال الشاعر:

جزيت أبا العلاء جزاء برّ نوى برّا وصاحبك العلاء[27]

في شطر الأوّل كلمة "العلاء" اسم علمٍ لأبي العلاء الوزير بمراكش[28]، وفي شطر الثاني من البيت كلمة "العلاء" بمعنى الرفعة و السمو، فاللفظان في البيت مختلفان في المعنى و لكن متفقان في النطق و نوع الحروف وشكلها وعددها وترتيبها وهذا جناس تام في البيت.

الطباق:

هو الجمع بين الشيء و ضده في الكلام أو هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى[29].قال الشاعر:

أليس الموت أروح ممن حياة يطول على الشّقيّ بها الشّقاء[30]

"الموت" و "الحياة" بين كلمتين الطباق في شطر الأول من البيت.كما قال الشاعر:

و ركض عن يمين أو شمال لنظم الجيش إن رفع اللواءُ [31]

هنا "اليمين و الشمال" طباق بين كلمتين .

المقابلة:

هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين ثم يؤتي بما يقابل ذلك على الترتيب[32]. قال المعتمد بن عباد:

ذلّ و فقر أزالا عزة و غنى نعمى الليالي من البلوى على كثبِ [33]

في شطر الأوّل كلمة "ذل" في البيت تقابلها كلمة "غزّة" وأمّا كلمة "فقر" تقابلها كلمة"غني" و هنا المقابلة من فن البديع.

مراعاة النظير:

هي أن تجمع بين أمرين أو أمور متناسبة لا على التضاد في الكلام[34]. قال الشاعر:

فما ماءُها إلّا بكاء يفيض على الأكباد منه بُحُورُ [35]

يذكر المعتمد كلمة "الماء" ثمّ ذكر ما له علاقة به، بحور و يفيض هنا مراعاة النظير .

و قال الشاعر:

أنّ النجوم التي غابت قد اقتربت منا مطالعا تسري إلى القمر [36]

ففي هذا البيت "النجوم و القمر" و كلمتان " غابت و مطالع" لها علاقة بالأجرام السماوية.

الاقتباس:

قال الشاعر:

تسير إلى أرض بها كنت مضغة و فيها اكتست باللحم منك عظام[37]

الشاعر يقتبس من الآية الكريمة و هي:

"وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ..... ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَونَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأَنَاهُ خَلْقًا"[38]. و قال:

فما لي لا أبكي، أم القلبُ صخرةٌ؟ وكم صخرةٍ في الأرض يجري بها نهر[39]

قد اقتبس الشاعر المعنى من الآية الكريمة و هي:

"ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالحِجَارَةِ أو أَشَدُّ قَسْوَةً وَ إِنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنهَارُ وَ إِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المَاءُ"[40] .

قال الشاعر:

قلبي إلى الرحمن يشكو بثّهُ ما خاب من يشكو إلى الرحمن [41]

دعا الشاعر لنفسه بسُنّة يعقوب عليه السّلام مقتبسا من الآية الكريمة وهي:

"قَالَ إِنَّما أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ"[42].

فقد يعقوب عليه السّلامَ ابنه فدعا ربّه تضرُّعا سمع اللهُ دعائه فرجع إليه و بالخير، فالشاعر يشكو إلي الله عند ما كان هو و أهله في السّجن، فشكى ربّه و فجع قلبه بقتل من بنيه .

السجنيّة الموصى بها:

حُبس المعتمد بن عباد أربع سنواتٍ خلف القضبان ،لم يُطلق سراحه و لم تُفك قيوده و لم تشفع عند ابن تاشفين حتى مات الملك الجواد ويستمر شعرها الرقيق حتى آخر يوم في حياتها ، فلمّا أحسّ بدنوا أجله وحالة نزعه فأوصى أن يُكتب على قبره أبيات نظمها في وصف حاله، قال:

قبر الغريب سقاك الرّائح الغادي حقّا ظفرت بأشلاءِ ابن عباد

بالدهر في نقمٍ ، بالبحر في نعم بالبدر في ظلم ،بالصّدر في النّادي[43]

وتبقى هذه القصائد في المعتمد دليلاً على أنه رغم الألم والقهر، فإن شريان الفخر لا يزال حياً ونابضاً حتى آخر نفس في حياته. ونسمع صوته الضعيف الذي اختاره. إنه الوتر الأخير على لحن المجد والبطولة، حتى في ساحة السجن وعلى حافة الموت.

وعندما نصل إلى هذا الموقف يبدأ الشاعر الذي سبق أن بدأ قصائده بمسرحية وحديث عن الطبيعة وجمالها، بالتخطيط بموضوع جديد وموضوع مدفوع بالإحساس باقتراب الموت . وعلى الرغم من تسميته بقبر، إلا أنه ليس قبراً عاماً، بل"قبر غريب". ويتوجه المعتمد بن عباد إلى قبره الذي سيكون مثواه الأخير. كان يتحدث مع القادة العسكريين والوزراء ويأمرهم أن يفعلوا ما يريد. ولا يطلب الماء من أحد بعينه، لأنه بعد المجد الملكي بدأ يطلب الصدقات من المكرمين، لأنه صار غريباً.

من حسن المطلع فرعه المتأخرون براعة الاستهلال وذلك "كما أن بداية القصيدة تدل على ما بنيت عليه، مبينة غرض القافية دون تأكيده، بل بإشارة حنونة". فإنه يخفف من عذوبته الرشيقة ويظهر له ما يريد"[44].قال الشاعر:

نعم هو الحق وافاني به قدر من السّماء فوافاني لِميعاد[45]

وتعبير "نعم" هو جواب للسؤال الأول الذي سأله، وهذا يسمى التصرف الصحيح. أي عندما يبتعد الشاعر عن المكان الذي بدأ فيه حديثه مثلاً عن أقاربه. كان معجباً به، كان يتحدث معه بلطف، كان يهتم بالعلاقة بين الاثنين، لكن الشاعر قد جاء بشيء جديد، إجابة لسؤال القبر.

وتكرار كلمة "وافاني" يدل على أمرين: وهي في المقام الأول إشارة إلى الإخلاص. فالإنسان الذي يدرك حقوق الآخرين يعطيها لنفسه كاملة، بلا نقص، والشاعر يأخذ جزءًا من عالمه بالكامل. وأما الثاني فقد كشفت الإشارات إلى الموت ، فالموت حقيقة، وهو أمر إلهي لا يستطيع أحد أن يمنعه أو يتجنبه، وهناك وقت محدد لا يمكن تأخيره أو تأجيله. كما قال الله سبحانه و تعالى:

"وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَّ لَا يَسْتَقْدِمُوْنَ"[46].

و لا تزال صلاة الله دائمةً على دفينك لا تحصى بتعداد[47]

في ختامه يظهر الشاعر غاية اهتمامه، حيث يخصصه نتيجة الدعاء بنزول رحمات الله، كما تتابع من قبل نزول المطر و الغيث . اللّهم اغفره و طيّب ثراه، و اجعل الجنة مثواه.

وجهة النظر النقدية :

وضربت مثلا قصيدة السجن والحبس للمعتمد بن عباد فأقول على وجه العموم بأن شعره وجداني يفيض الحنين و الطبع مع سهولة الألفاظ و سلامة التركيب، إنه يركز على نفسه وجعله تعبيرا

عن مشاعره ، و لم يخلو شعره من الخصائص الأصولية ، وبينما كان يقلد الأساليب الفنية التقليدية ، عرف كيف يحتفظ في داخله بدافع الأصالة المنطبع في نفسه من خلال مناشدة الأصول الشخصية للشاعر. هذا خصوصيات اهتمامات الشاعر و كل ذلك قاده إلى طريق إحياء الشعر الأندلسي.

وقد أثّر الأسر والسجن في شعر المعتمد بن عباد، فحوّله من المودة إلى الشخصية، وحوّل مضمون شعره إلى موضوعات لم يتناولها قبل سجنه. وكان شعره قبل سجنه "فخما وأنيقا"، تميل إلى نوع معين من الإتقان وتدور حول المديح، والحماس، والغزل، واللوم، وبكاء المعارك"[48]. ويصف جمع المتعة والقتال على النحو التالي: "عندما تمت محاكمته وسجنه، وعندما أصبح سجيناً وألقي به في أعماق زنزانة مظلمة. تحركت أشعاره وكان لها تأثير أقوى على النفس، عبرت عن الحالة التي كنت أشعر بها . ففي هذا الشعر صوّر مرارة السجن و الآم النفي.

وتعبر أشعار المعتمد بن عباد بعد أسره وسجنه عن اعتزازه الشديد بنفسه، مع ذكر فضائله وصفاته التي أعجب بها، كالصدق، والشجاعة، والجرأة، والحلم، والمثابرة. لكن بما أنه ليس في حالة تبعث على الافتخار، فهذا نوع من التعاطف والمواساة. وكان فخوراً بصفات الفقيد وظل فخوراً حتى وفاته.

كتب المعتمد بن عباد قصائده في السجن عن المعاناة التي لا يمكن التغلب عليها لملك قوي وقوي الإرادة، تحول أصدقاؤه إلى أعداء، وحققوا له نصراً ساحقًا، وأسروه، واغتصبوا مملكته. بالإضافة إلى ذلك، تعرض لمحاكمات أخرى غير الحبس، بما في ذلك قتل أطفاله الواحد تلو الآخر. وبينما تم نفي بناته وإجبارهن على العمل كخادمات يعملن مقابل أجر وينسجن الصوف والطعام، ظل المعتمد يعاني من تجارب كثيرة ومتنوعة مركزة في نفس الوقت.

سُجن المعتمد بن عباد في أغمات أربع سنوات من 1091 إلى 1095 م حتى وفاته. خلال هذا الوقت شوهد المعتمد يبكي معبراً عن ألمه الذي لا يعاني منه أحد. وقد استخدم المعتمد بن عباد كلمة "بكي" (ب ك ي) في هذه الفترة الصعبة في قصائده السجنيّات 26 مرة. لم يقف المعتمد بن عباد أمام يوسف بن تاشفين باكيا مسترحما، بل وقف من أجل تشرد بناته عند المتشكي من سوءِ حاله و الحزن. وعندما يتعلق الأمر بكلمات الحزن والمعاناة، فقد غطت قصائد السجين الأخيرة كل ذلك. المدمنون يندمون طوال النهار ويحزنون في الليل ويتحملون المعاناة.

سجين باك بدم، وغضب أبدي، وعويل الرياح، يأس و موت،و قلب مكسور، خوف و عار، ذل على ذل، أخي الدهر، الخطوب أذلته ، أذلتني الوعود، الحضيض، ذل كبير، ثقل السلاسل

وعبودية الحبس والفقر.وتتحدث هذه الكلمات عن مصاعب ذلك الزمن التي عاشها الشاعر،خلف القضبان و اعتقاله بسّجن أغمات، و الذُلّ و الفقر بعد العزّة و الملك.

النماذج من قصائد الأسريات لمعتمد بن عباد

الأسرية الأولى:[49]

نفي ابن تاشفين معتمد بن عباد إلى أغمات، في طريقة مرّ ببلد أمام أهله خارجين إلى المسجد للاستسقاء، و كان قد انقطع المطر عنهم، فهاجته عاطفته، فقال:

خرجوا ليستسقوا فقلت لهم دمعي ينوب لكم عن الأنواء
قالوا: حقيقا في دُموعك مقنع لكنّها ممزُوجة بدماءِ

الأسرية الثانية:[50]

كتب المعتمد هذه الأبيات في دعا "الوزير بمراكش"، أبي العلاء زهر بن عبد الملك، وكتب اليه الشاعر رسالة لمطالعة الأحوال بنفسه من أهلها:

دعا لي بالبقاء و كيف يهوي أسيرٌ أن يطول به البقاءُ
اليس الموت أروح من حياة يطول على الشّقي بها الشقاءُ
جُزيتَ أبا العلاء جزاء برٍّ نوى برّاً ، و صاحبك العلاءُ

الأسرية الثالثة:[51]

تبدّلتُ من غزّ ظلّ البنود بذلّ الحديد و ثقل القيود
و كان حديدى، سنانا ذليقا وعضبا رقيقا، صقيل الحديد
فقد صار ذاك و ذا أدهما يعضّ بساقيّ عضّ الأسود

الأسرية الرابعة:[52]

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا فساءك العيد في أغمات مأسورا
ترى بناتك في الأطمار جائعة يغزلن للناس لا يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة أبصارهنّ حسيرات مكاسيرا

الأسرية الخامسة:[53]

لما تماسكت الدموع و تنبه القلب الصريع
و ألذ من طعم الخضوع على فمي السّم النقيع
فالقلب بين ضلوعه لم تسلم القلب الضلوع

الهوامش

1: **باجة:** هي كورة من الكور العربية التي كانت من أعمال إشبيلية أيام بني عباد خاصيّة في دباغة الأديم و صناعة الكتان و فيها معدن فضة ، هي متصلة بكور ماردة ، انظر: نفح الطيب،159/1

2: وفيات الأعيان، 22/5

3: خريدة القصر و جريدة العصر، 71/2 ، اعلام النساء،71/1

4: نفح الطيب،626/1 ، في الأدب الأندلسي، ص93

5: نزهة الجلساء في أشعار النساء: السيوطي،جلال الدين ،مكتبة القرآن ، قاهرة، ص97

6: الأعلام، 181/6

7: الأندلس التاريخ المصور، ص/285

8: المعجم المفصل في الأدب، ص/805

9: المصدر نفسه ، 46/2

10: الكامل في التاريخ،484/8 ، شذرات الذهب،383/5

11: الأعلام، 181/6 ، الكامل في التاريخ، 46/8

12: ديوان المعتمد بن عباد : المعتمد بن عباد، تحقيق: أحمد بدوي، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1995م ، ص/89

13: أبو العلاء،كان صديق المعتمد في السر و العلن، وزير بمراكش، انظر:المراكشي،"المعجب " ص218

14: المصدر نفسه ، ص90

15: ديوان المعتمد بن عباد، ص94

16: المصدرنفسه ، ص110

17: المصدرنفسه ، ص95 ، نفح الطيب، 10/6

18: ديوان المعتمد بن عباد ، ص98

19: المصدر نفسه ، ص93

20: المصدر نفسه ، ص100 ، نفح الطيب، 10/6

21: التطبيق الصرفي : عبده الراجحي ، دار النهضة العربية، بيروت، 1984م، ص75

22: مختصر المعاني: التفتازاني، مسعود بن عمر، المكتبة البشرى، كراتشي، باكستان، 2010م، ص100

23: نفح الطيب ، ص88

24: مختصر المعاني، ص100

25: ديوان المعتمد بن عباد ، ص111

26: المصدر نفسه ، ص115

27: المصدر نفسه ، ص90

28: المعجب في تلخيص أخبار المغرب: المراكشي، ص218

29: مختصر المعاني، ص207 ، و القول البديع في علم البديع، ص120

30: ديوان المعتمد بن عباد ، ص90
31: المصدر نفسه ، ص90
32: مختصر المعاني، ص 294
33: ديوان المعتمد بن عباد، ص 92
34: مختصر المعاني، ص 214 ، و القول البديع في علم البديع، ص 124
35: ديوان المعتمد بن عباد ، ص 99
36: المصدر نفسه ، ص 100
37: المصدرنفسه ، ص 113
38: سورة المؤمنون، رقم الآية: 12- 14
39: ديوان المعتمد، ص 68 ، نفح الطيب، 382/5
40: سورة البقرة، رقم الآية: 74
41: ديوان المعتمد، ص110 ، نفح الطيب، 351/5
42: سورة البقرة، رقم الآية: 86
43: ديوان المعتمد بن عباد، ص 96
44: أسس النقد عند العرب: البدوي، أحمد دار النهضة مصر، ص306
45: ديوان المعتمد بن عباد، ص 96
46: سورة الأعراف، رقم الآية: 34
47: نفح الطيب، 65/6
48: تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ 715/4
49: ديوان المعتمد بن عباد، ص89
50: المصدر نفسه ، ص 90
51: المصدر نفسه ، ص 94
52: المصدر نفسه ، ص 100
53: المصدر نفسه ، ص88

مصادر الدراسة :

1: القرآن الكريم
2: الأدب العربي في الأندلس : عبد العزيز عتيق ، ط2، دار النهضة العربية، بيروت ،1976م.
3: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : ابن بسام الشنتريني ، تحقيق إحسان عباس ،دار الثقافة،بيروت،لبنان ، 1997م .
4: أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمر جار الله الزمخشري، تحقيق: محمد باسد عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ،
لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م .

5: أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: رشيد رضا، مكتبة الآستانة، ط3، ١٣٢٠هـ .
6: الشعر و البيئة في الأندلس: ميشال عاصي ، المكتب التجاري ،النشر و التوزيع ، بيروت.
7: المثل السائر: ابن الاثير، الناشر:دار النهضة، مصر، تحقيق: د.أحمد الحوفي ، 2019 م .
8: المطرب من أشعار أهل المغرب : ابن دحية كلبي ، تحقيق ، إبراهيم الابياري .
9:المعتمد بن عباد الملك الجواد الشجاع، عبد الوهاب عزام،دارالمعارف،القاهره،1959م.
10: المعتمد بن عباد : احسان ميرغي محمد خيط، دراسة نفسية ، جامعة الأخوة ، الجزائر، 1995م.
11: المعتمد بن عباد : عبد الوهاب عزام ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ.
12: المعتمد بن عباد : على أدهم ، مكتبة مصر ، القاهرة ، بدون تاريخ.
13: المعجب في تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد المراكشي،تحقيق سعيد العريان، مصر .
14: النقد الأدبي : أحمد أمين ، ط4، دار الكتاب العربي ، بيروت ،1967م .
15: النقد والدراسة الأدبية : حليمي مرزوق،دار النهضة العربية ،ط1 ،١٩٨٢م .
16: تاج العروس من جواهر القاموس : الإمام محب الدين أبي فيض الحسينى الزبيدي،الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، لبنان ،
١٤٤٦ه
17: تاريخ ابن خلدون: ابو زيد ولي الدين عبد الرحمن الشهير بابن خلدون ، اهتم ابو صهيب الكرمي، بيت الأفكار، عمان ،
الأردن.
18: تاريخ الأدب الطوائف و المرابطين :إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1962م .
19: تاريخ الأدب الأندلسي: إحسان عباس، عصر سيادة قرطبة ، دار الشروق ، عمان ، الأردن، ط1، 1997م.
20: تاريخ الأدب العربي : أحمد حسن زيات ، دارالمعرفة ، لبنان ،1885 م .
21: تراجم إسلامية شرقية وغربية: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة،1970م.
22: دراسات في الأدب الأندلسي : عصر السيادة قرطبة ، إحسان عباس ، دارالثقافة، الطبعة الخامسة،بيروت ،١٩٨٥م .
23: دروس البلاغة : حنفي ناصف ،شرح : محمد بن صالح العثيمين ،مكتبة الأثر ، كويت ،2004م .
24: دولة الإسلام في الأندلس : محمد عبد الله عنّان 1997م ، الجزء الأول، مكتبة الخانجي،القاهرة .
25: ديوان المعتمد بن عباد : تحقيق ، رضا الحبيب ، دار التونسية ، ١٩٧٥م .
26: قلائد العقيان ومحاسن الأعيان : لابن خاقان ، مكتبة المنارنة ، تحقيق :حسين يوسف، ط1، 1989م.
27: شعرالسجون في الأندلس :براهيمي فوزية ، رسالة الدكتورة ،جامعة بن يوسف ،2005م .
28: لسان العرب : ابن منظور ، دار صادر للطباعة و النشر ، بيروت .
29: مجلة دعوة الحق: المعتمد بن عباد في المغرب ،وزارة الأوقاف والشؤون المغربية،2014م .
30: مقاييس اللغة : لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق ، عبد السلام هارون،دار الفكر،١٩٧٩م .

31: موسوعة تاريخ الأندلس: الدكتور حسين مونس ، مكتبة لسان العرب ، قاهرة ،2022م .
32: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق : محمد بن عبد الله بن إدريسي ، الجز الاول ، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية ، 2018م .
33: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب : أحمد بن محمد المقري ، حققه محي الدين ،مطبعة السعادة ، مصر ، 1948م .
34: وفيات العيان : ابن خلكان (أحمد بن محمد)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر،بيروت1977م.
35: ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة .

.....

2

1: خريدة القصر و جريدة العصر، 71/2 ، اعلام النساء،71/1

2: نفح الطيب،626/1 ، فى الأدب الأندلسى، ص93

3: نزهة الجلساء فى أشعار النساء: السيوطى،جلال الدين ،مكتبة القرآن ، قاهرة، ص97

4: الأعلام، 181/6

1: الأندلس التاريخ المصور، ص/285

2: المعجم المفصل فى الأدب، ص/805

3: المصدر نفسه ، 46/2

1: الكامل فى التاريخ،484/8 ، شذرات الذهب،383/5

2: الأعلام، 181/6 ، الكامل فى التاريخ، 46/8

1: ديوان المعتمد بن عباد: المعتمد بن عباد، تحقيق: أحمد بدوي، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1995م، ص/89

2: أبو العلاء،كان صديق المعتمد في السر و العلن، وزير بمراكش، انظر:المراكشي،"المعجب " ص218

3: المصدر نفسه ، ص90

1: ديوان المعتمد بن عباد، ص94

2: المصدرنفسه ، ص110

3: المصدرنفسه ، ص95 ، نفح الطيب، 10/6

1: ديوان المعتمد بن عباد ، ص98

2: المصدر نفسه ، ص93

1: ديوان المعتمد بن عباد ، ص100 ، نفح الطيب، 10/6

2: التطبيق الصرفي : عبده الراجحي ، دار النهضة العربية، بيروت، 1984م، ص75

3: مختصر المعاني: التفتازاني، مسعود بن عمر، المكتبة البشرى، كراتشي، باكستان، 2010م، ص100

4: نفح الطيب ، ص88

1: مختصر المعاني، ص100

2: ديوان المعتمد بن عباد ، ص111

3: المصدر نفسه ، ص115

4: المصدر نفسه ، ص90

5: المعجب في تلخيص أخبار المغرب: المراكشي، ص218

1: مختصر المعاني، ص207 ، و القول البديع في علم البديع، ص120

2: ديوان المعتمد بن عباد ، ص90

3: المصدر نفسه ، ص90

4: مختصر المعاني، ص 294

5: ديوان المعتمد بن عباد، ص 92

6: مختصر المعاني، ص 214 ، و القول البديع في علم البديع، ص 124

1: ديوان المعتمد بن عباد ، ص 99

1: ديوان المعتمد بن عباد ، ص 100

2: المصدرنفسه ، ص 113

3: سورة المؤمنون، رقم الآية: 12- 14

4: ديوان المعتمد، ص 68 ، نفح الطيب، 382/5

5: سورة البقرة، رقم الآية: 74

1: ديوان المعتمد، ص110 ، نفح الطيب، 351/5

2: سورة البقرة، رقم الآية: 86

3: ديوان المعتمد بن عباد، ص 96

1: أسس النقد عند العرب: البدوي، أحمد دار النهضة مصر، ص306

2: ديوان المعتمد بن عباد، ص 96

3: سورة الأعراف، رقم الآية: 34

4: نفح الطيب، 65/6

1: تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ 715/4

1: ديوان المعتمد بن عباد، ص89

1: ديوان المعتمد بن عباد ، ص 90

2: المصدر نفسه ، ص 94

3: المصدر نفسه ، ص 100

4: المصدر نفسه ، ص88